مجلة الدراسات اللغوية

فصلية محكمة تعنى بدراسة النحو والصرف واللغويات والعروض

مركز الملك فيصل
للبحوث والدراسات الإسلامية

المجلد الأول ـ العدد الثاني

ربيع الآخر ـ جمادى الآخرة ١٤٢٠هـ
(يوليو ـ سبتمبر ١٩٩٩م)

- أساليب اجتماع الشرط والقسم.
- لفظ ليس ومعناها في التراث النحوي.
- ما لم ينشر من كتاب تحفة المجد.
- إشكاليات المصطلح السيميائي.
- كتاب الإبانة في اللغة.
- مشكلات النحو بين القديم والجديد.
- تعليم اللغة العربية في المدارس الحكومية بغرب إفريقيا.

٨١٥-٩

مجلة الدراسات اللغوية

فصلية محكمة تصدر عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

- التقديم ٥
- أساليب اجتماع الشرط والقسم
  عبدالله محمد آدم أبو نظيفة ٩
- لفظ ليس ومعناها في التراث النحوي
  عبدالرحمن بن محمد العمار ٩١
- ما لم ينشر من كتاب تحفة المجد
  عبدالعزيز الساوري ١٢٣
- إشكاليات المصطلح السيميائي
  محمد العبد ١٣٩
- كتاب الإبانة في اللغة
  جاسر خليل أبو صفية ١٧٣
- مشكلات النحو بين القديم والجديد
  كاصد ياسر الزيدي ٢٠١
- تعليم اللغة العربية في المدارس الحكومية بغرب إفريقيا
  هارون المهدي ميغا ٢٢٩

رئيس التحرير
تركي بن سهو العتيبي

هيئة التحرير
صالح بن حسين العايد
صالح بن سليمان العمير
عبدالرحمن بن محمد العمار

مدير التحرير
سيف بن عبدالرحمن العريفي

عنوان المراسلة
مجلة الدراسات اللغوية
ص . ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣
المملكة العربية السعودية
ناسوخ ٤٦٥٩٩٩٣

Journal of Linguistic Studies
P.O. Box 51049 Riyadh 11543
Saudi Arabia
Fax: 4659993

ردمد: ١٣١٩-٨٥١٣
الإيداع: ٢٠/٩٨٢

المجلد الأول العدد الثاني ربيع الآخر - جمادى الآخرة ١٤٢٠هـ / يوليو - سبتمبر ١٩٩٩م

الهيئة الاستشارية للتحرير:

* أمين عبدالله سالم — أستاذ النحو كلية اللغة العربية المنوفية.
* حسن شاذلي فرهود — أستاذ النحو سابقاً في جامعة الملك سعود.
* حمزة بن قبلان المزيني — أستاذ علم اللغة جامعة الملك سعود.
* سليمان بن إبراهيم العايد — أستاذ علم اللغة جامعة أم القرى.
* عبد العلي الودغيري — أستاذ اللغويات جامعة محمد الخامس.
* عبدالله الطيب — رئيس مجمع اللغة العربية السودان.
* عبدالله بن حمد الخثران — أستاذ النحو جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
* علي أبو المكارم — عميد كلية دار العلوم جامعة القاهرة.
* عياد بن عيد الثبيتي — أستاذ النحو جامعة أم القرى.
* محمد بن حسن باكلا — أستاذ علم اللغة جامعة الملك سعود.
* محمد رشاد الحمزاوي — أستاذ اللسانيات كلية الآداب الجامعة التونسية.
* محمد علي سلطاني — أستاذ النحو سابقاً جامعة دمشق.
* محمد بن يعقوب تركستاني — أستاذ علم اللغة الجامعة الإسلامية.
* محمود فهمي حجازي — أستاذ علم اللغة كلية الآداب جامعة القاهرة.
* إبراهيم بن سليمان الشمسان — أستاذ النحو المشارك جامعة الملك سعود.
* عثمان بن محمود صيني — أستاذ النحو المشارك كلية إعداد المعلمين الطائف.

ضوابط النشر:

١- أن يكون البحث ضمن اختصاصات المجلة، وهي: الدراسات النحوية والتصريفية واللغوية واللسانية والعروضية.

٢- ألا يزيد البحث على ثمانين صفحة.

٣- ألا يكون البحث منشوراً، أو مقدماً للنشر في مجلة اخرى.

٤- أن يكون البحث مطبوعاً على ورق (A4).

٥- دقة التوثيق والتخريج، وأن تكون هوامش كل صفحة أسفلها.

٦- أن يكون البحث مذيلاً بالمراجع كاملة البيانات.

٧- أن يكون البحث باللغة العربية.

٨- أن يكون البحث متسماً بالأصالة، وفيه جدة وابتكار.

٩- أن يقدم الباحث من بحثه ثلاث نسخ وملخصاً له.

١٠- لا تعاد البحوث إلى أصحابها سواءً أقبلت أم لم تقبل.

تخضع البحوث التي تقدم إلى المجلة للفحص العلمي من قِبل متخصصين ترشحهم هيئة التحرير

كل ما ينشر في المجلة يعبر عن راي كاتبه

التقديم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين؛ أما بعد:

فبفضل الله سبحانه وتعالى يصدر العدد الثاني من هذه المجلة، مقتفياً سنن العدد السابق في تنوع المادة، واختلاف مجالات الدرس اللغوي.

لقد سعت هيئة التحرير إلى تعدد مجالات البحوث، وألا تكون من بابة واحدة، ومن ثم رُحّلت بعض البحوث المتعلقة بالدرس النحوي إلى العددين التاليين؛ اكتفاءً بالبحثين المنشورين، وإذا تعددت البحوث في مجال بعينه، واجتازت الفحص سواء أكانت الإجازة مشروطة أم غير مشروطة فيقدم حينئذٍ أسبقها وصولاً. ولذا قد يتأخر بحث اتفق الفاحصان على إجازته، ويتقدم آخر أجيز بالترجيح أو بالتعديل؛ لئلا يضارَّ الثاني بالتأخير أيضاً.

البحوث التي وصلت إلى هيئة التحرير كثيرة؛ ولكن الذي اجتار التقويم كان الأقل. ولفت النظر في هذه البحوث أنَّ فيها ما كان رفيع المستوى، ومنها ما كان دون ذلك، ولكن الذي لا يرغب فيه هو أن يرسل بعض الباحثين مستلات من كتبهم لنشرها بالمجلة؛ قناعة منهم بإمكان استقلالية هذا الفصل أو ذاك، وهذا لا تنطبق عليه ضوابط النشر في المجلة التي تشترط الجدّة في مادتها، لذا فإن هيئة التحرير تعتذر عن نشر مثل هذه الأعمال.

أما البحوث العلمية في جميع فروع الدراسات اللغوية فإنها تحظى بالعناية والمتابعة بدءاً من الفحص المبدئي حتى تصل إلى قرار الفاحصين النهائي، كما أن هناك وجهات نظر لبعض الدارسين يحرصون عليها منها ما يتعلق بالدرس اللغوي، ومنها ما يتعلق بالدرس العروضي: تصنيفاً أو تعليماً، أما التصنيف فإن

كثيراً من عرض الكتب يؤدي بعض جوانب هذا الغرض، وإن كان الطموح إلى ما هو أفضل عند نقد مناهجها وتقويمها، أما تعليم اللغة فموضوعاته مازالت بحاجة إلى مناقشة في سبيل الوصول إلى الأفضل، وفي هذا العدد بحث عن مشكلات النحو، وهي ظاهرة قديمة، عرض لها عدد من علماء العربية المتقدمين كابن مضاء القرطبي وغيره، ويعرض لها المعاصرون بين حين وآخر، ونشره لا يعني التسليم به، ولذا فسيكون في العدد التالي مناقشة له من أحد أعضاء الهيئة الاستشارية الذي وعد بتقديم دراسة تفصيلية حول هذا البحث، إن نشر مثل هذا البحث ومناقشته مما تأمل المجلة أن يثري الجوانب العلمية، ويعود عليها بالنفع.

بقي أن أشكر جميع الأخوة الذين سرّوا بخروج المجلة، فكتبوا رسائل بريدية وهاتفية من داخل المملكة وخارجها.

أما الأخوة الفضلاء الذين أعانوا المجلة بتقويم الأعمال العلمية على الرغم من مشاغلهم، فقلمي عاجز عن شكرهم.

والله الموفق.

رئيس التحرير

أولاً : البحوث والدراسات

أساليب اجتماع الشرط والقسم
دراسة استقرائية في
القرآن الكريم

عبد الله محمد آدم أبو نظيفة
السـودان

الحمد لـله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشـرف المرسلين سيدنا مـحمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد: فموضوع هذا البحث ذو شقين: شق يتعلق بما ورد في القرآن الكريم من استعمالات اجتماع الشرط مع القسم في كلام واحد. وهو بحث استقرائي تام ـ بفضل الله تعالى ـ والاستقراء التـام في هذا البحث وأمثاله أمر لا مندوحة منه؛ لأن الحكم في الشق الآخـر يتوقف عليه؛ إذ لا يمكن الجـزم بأن هذا الأسلوب أو ذاك التركيب أو تلك الأداة ليس شيء منها في القرآن الكريم إلا بعد الوقوف على سبيل اليقين على استعمالات القرآن الكريم على سبيل الاستقراء التام.

والشق الآخر يتعلق بما لم يرد في القرآن الكريم من أساليب اجتماع الشرط مع القسم على الرغم من ورودها في غيره نثراً وشعـراً، كما سيقف القارئ ـ إن شاء الله تعالى ـ عليه مفصلاً ومؤيداً بالشواهد.

قد سرت في هذا البحث على المنهج الآتي:

ـ الاستقراء التام للجانب الخاص بالقرآن الكريم.

ـ عزو الآيات الكريمة إلى مواضعها من السـورة في كتاب الله العزيز مشيراً إلى الآية المدنيـة هكذا: الآية: ١١٦م البـقـرة، وإلى الآية المكيـة هكذا: الآية: ٢٣ك الأعراف، في داخل البحث.

ـ تخريج الأحاديث من الكتب المعتمدة بذكر الباب منه ورقم الحديث إذا كانت الأحاديث مرقمة، وإن لم تكن كذلك أكتفي بذكر الجزء والصفحة.

ـ إيضاح الكلمات الغامضة الواردة في الشعر بالرجوع إلى المعجمات، وشروح دواوين الشعر، وخاصة الشعر الذي ورد شاهداً أول مرة.

ـ تخريج الشواهد من مظانها، ونسبة البيت إلى قائله إن عرف.

ـ وضع قائمة للمصادر والمراجع الواردة في البحث.

خطة البحث:

وقد جاء البحث في تمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة، وتفصيل ذلك على ما يأتي:

ـ الفصل الأول: القسم الذي اجتمع به الشرط في القرآن الكريم. يقوم على مبحثين:

ـ المبحث الأول: تفصيل هذا القسم في خمس مسائل.

ـ المبحث الثاني: أجوبة أساليب اجتماع الشرط مع القسم. وهي عشرة أنواع.

ـ الفصل الثاني: أقسام الشرط المجتمع مع القسم والجواب بعدهما. وهو يشمل ثلاثة مباحث:

ـ المبحث الأول: اجتماع الشرط غير الامتناعي مع القسم.

ـ المبحث الثاني: اجتماع الشرط الامتناعي مع القسم.

ـ المبحث الثالث: القسم المقترن بالفاء.

ـ الفصل الثالث: من قضايا (لئن)، واللام، و(إذا)، والقسم في القرآن الكريم. وفيه ثلاثة مباحث:

ـ المبحث الأول: توارد (لئن) و(لو).

ـ المبحث الثاني: حقيقة اللام في الكلام القسمي (لئن) و (لأفعلن).

ـ المبحث الثالث: (إذا) والقسم في القرآن الكريم.

ـ الفصل الرابع: ما ليس في القرآن الكريم من أساليب الشرط المجتمع مع القسم. وفيه سبعة مباحث:

ـ المبحث الأول: أدوات القسم وألفاظه الواردة في غير القرآن الكريم.

ـ المبحث الثاني: اللام الداخلة على أداة الشرط غير (إن) الشرطية.

ـ المبحث الثالث: تقدم ذي خبر على (لئن).

ـ المبحث الرابع: الفصل بين (لئن) وفعل الشرط.

ـ المبحث الخامس: ورود (لئن) والقسم غير مراد.

ـ المبحث السادس: وقوع القسم الصريح بالفعل بعد أداة الشرط وفعل الشرط.

ـ المبحث السابع: الأجوبة بعد الشرط غير الامتناعي مع القسم.

ـ **الخاتمة**: ذكر فيها نتائج البحث.

التمهيد:

الشرط عند النحويين: تعليق حصول مضمون جملة بحصول مضمون جملة أخرى. بمعنى ربط ما تضمنته جملة ما وجوداً بوجودٍ بما احتوته جملة أخرى من مضمون.[1] نحو قوله تعالى: ﴿إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسئلكم أموالكم. إن يسئلكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم﴾ الآيتان: ٣٦-٣٧م محمد.

أسلوب الشرط في القرآن الكريم قد ألِفَ أساليب قرآنية كثيرة من أساليب الاستفهام كما في قوله تعالى: ﴿قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين﴾ الآية: ٤٠ك الأنعام، وقوله تعالى: ﴿وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده﴾ من الآية: ١٦٠م آل عمران، سبق الاستفهام الشرط في الآية الأولى، وجاء جواباً له في الآية الثانية، والأمر، كما في قوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين، وإن كنتم جنباً فاطهروا، وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه﴾ الآية: ٦م المائدة. قد اقترن الشرط بالأمر ثلاث مرات، وهذا الأمر يفيد تكرير الأحداث. والرجاء، ومثال اجتماع الشرط به قوله تعالى: ﴿فإن كرهتموهن فعسى

(١) الحدود في النحو وشرحه للفاكهي / ١٨٢. رقم ٤٤٢ نحو تيمور، دار الكتب المصرية مخطوط. والتعريفات / ١١٠ للسيد الشريف الجرجاني، أساليب الشرط في القرآن الكريم ١/ ٣٦.
وراجع في الموضوع شروح التلخيص وحاشية الدسوقي على شرح سعد الدين ١/ ١٦٣ وما بعدها، و٢/ ٢٣٤ وما بعدها. والمطول على التلخيص وحاشية السيد الشريف الجرجاني/ ٢٢٤، والإشارات والتنبيهات ١/ ٦٣ للرئيس ابن سينا.

أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾ الآية: ١٩م النساء، والمدح، يشهد له قوله تعالى: ﴿إن تبدوا الصدقات فنعما هي﴾ من الآية: ٢٧١م البقرة، والنفي، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله﴾ من الآية: ٤٠م التوبة، وقوله تعالى: ﴿قل يأيّها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله﴾ من الآية ١٠٤ك يونس، وغيرها. وقد اجتمع الشرط في القرآن الكريم مع أكثر من أسلوب في تركيب واحد، كما في قوله تعالى: ﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾ الآية: ٢٤م البقرة، وقوله تعالى: ﴿فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾ من الآية: ٩١م النساء. قد اجتمع الشرط بالنفي والأمر في الآيتين، كما اجتمع بالنفي والقسم، وهو موضوع يجيء إيفاء الحديث عنه إن شاء الله تعالى. وتختلف طريقة اجتماعه بها من أسلوب من تلك الأساليب إلى أسلوب آخر طبق مقتضى كل أسلوب منها.

والأساليب في لسان العرب تنحصر في أسلوبين اثنين: أسلوب خبري وأسلوب إنشائي، ووجه الحصر في هذين القسمين [1]:

أن الكلام إن احتمل الصدق والكذب لذاته من حيث يصح أن يقال لقائله صادق فيه أو كاذب فيه سمي كلاماً خبرياً. والمراد بالكلام الصادق: ما طابقت نسبة كلامه الواقع، وبالكاذب ما لم تطابق نسبة كلامه الواقع. إن كان الكلام بخلاف ذلك أي إنه يصح أن يقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب؛ لأنه لا يحتمل الصدق والكذب لذاته؛ لعدم مدلوله في الخارج وتوقفه على النطق به، فإن كان الكلام كذلك سمي كلاماً إنشائياً.

والأسلوب الإنشائي ينقسم قسمين: إنشائي طلبي، وإنشائي غير طلبي. ويَعْني

(١) راجع المطول على التلخيص / ٢٢٤.

البلاغيون بالإنشاء الطلبي ما يستلزم مطلوباً ليس حاصلاً وقت الطلب، وبالإنشائي غير الطلبي ما يستلزم مطلوباً حاصلاً وقت الطلب.

فمن الإنشاء غير الطلبي: أفعال المقاربة، وأفعال التعجب، وأفعال المدح والذم، وصيغ العقود والقسم، ورب، وكم الخبرية، وغيرها. والبلاغيون لا يكادون يلقون بالاً إلى هذا القسم لقلة المباحث المتعلقة به[1]؛ لأنه في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء. وأما النحويون فيعنون عناية خاصة بأغلب أنواع هذا القسم في مختلف أبواب النحو، بل عقدوا لأكثره أبواباً مستقلة، مثل القسم والتعجب، والمدح والذم، وكم الخبرية. وهلمَّ جراً.

وأما الإنشاء الطلبي فقد قسمه النحويون تسعة أقسام: أمر، ونهي، واستفهام، ودعاء، وعرض، وتحضيض، وتمنٍّ، وترجٍّ، ونداء [2].

فأسلوب الشرط يجيء من كلا نوعي الكلام: الخبري والإنشائي الطلبي وغير الطلبي؛ لأن مناط الإفادة والحكم فيه في جواب الشرط عند فقهاء لسان العرب[3]، ويتكيف الأسلوب الشرطي كله بالجواب، فإن كان الكلام خبراً فالأسلوب جميعه خبر، وإن كان إنشاءً فهو إنشاء، ولا عبرة بجملة الشرط، لكونها سبباً وقيداً في جملة الجواب، فإنه في نحو قوله تعالى: ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق﴾ من الآية: ١٣٧م البقرة. المراد بالإفادة والحكم الإخبار بالهداية للكفار والشقاق لهم المقيدين بالإيمان بما آمن به المسلمون والتولي عنه. وفي نحو قوله تعالى: ﴿إن تبدوا الصدقات فنعمَّا هي﴾ من الآية: ١٧١م البقرة. المعتبر في أصل الإفادة إنشاء المدح وقت إبداء الصدقات. وقوله تعالى: ﴿وإن

(١) راجع: المطول / ١٥٢.

(٢) الأساليب الإنشائية في النحو العربي / ١٠٩.

(٣) راجع الكتاب ٣/ ٨٤، والبرهان في علوم القرآن ٢/ ٣٦٥-٣٦٦، والتصريح بمضمون التوضيح للشيخ خالد ٢/ ٢٥٤.

خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما﴾ من الآية: ٣٥م النساء. المعتمد في أصل الإفادة إنشاء بعث الحكمين وقت مخافة شقاق بينهما، وتوفيق الله تعالى الحكمين وقت إرادتهما الإصلاح، وهكذا.

والكلام لا يخرج بتقييده بهذا القيد ـ أعني جملة الشرط ـ عما كان عليه من الخبرية والإنشائية. والشرط المقترن بالقسم في القرآن الكريم كان كله خبراً.

تعريف القسم:

والمراد بالقسم في اصطلاح النحويين:

اليمين نفسها. "وهو تعظيم الأمر المقسم به؛ لأنه يذكر لقصد حمل الإنسان نفسه على الفعل المقسم به، وهو خبر في اللفظ، وإنشاء في المعنى"[1].

والقسم من التوكيد الذي يؤكد معنى الجملة ومضمونه. قال ابن مالك: "القسم جملة يجاء بها لتوكيد جملة، وترتبط إحداهما بالأخرى ارتباط جملتي الشرط والجزاء، وكلتاهما جملة اسمية وفعلية، والمؤكِّد هي الأولى، والمؤكَّد هي الأخرى، وهي المسماة جواباً"[2].

الشرط المجتمع مع القسم في القرآن الكريم نوعان:

النوع الأول: الشرط الامتناعي، والنوع الآخر: الشرط غير الامتناعي.

الشرط المقترن بالقسم في القرآن الكريم من النوع الأخير أي الشرط غير الامتناعي جاء في أساليب ثلاث أدوات من أدوات الشرط الواردة في القرآن الكريم باقية على إفادتها الشرط، وهي: (إنْ) في خمس وستين آية، و(من) في خمس آيات، و(ما) في آية واحدة.

---

(١) شرح ألفية ابن معطي لابن القواس ١/ ٤٢٠-٤٢١.

(٢) شرح الكافية الشافية ٢/ ٨٣٤.

الفصل الأول
القسم الذي اجتمع به الشرط، تفصيله وبيان أجوبته

المبحث الأول: مسائل القسم المجتمع مع الشرط وتفصيله:

المسألة الأولى: الشرط المسبوق بالقسم الصريح واللام المؤذنة للقسم، وبعده اللام الموطئة لجواب القسم، جاء في أربع آيات وهي قوله تعالى:

١ـ ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها﴾ الآية: ١٠٩ك الأنعام.

٢ـ ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقنّ ولنكوننّ من الصّالحين﴾ الآية: ٧٥م التوبة.

٣ـ ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكوننّ أهدى من إحدى الأمم﴾ الآية: ٤٢ك فاطر.

٤ـ ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن﴾ الآية: ٥٣م النور.

والكلام في المواضع الثلاثة الأوَل منها إخبار من الله تعالى عن معنى كلام من حلف لا حكاية للفظه، إذ لو كان حكاية للفظه لكان التركيب: (لئن جاءتنا آية)[1]ـ (لئن أمرتنا لنخرجن)ـ (لئن جاءنا نذير)ـ على طريق التكلم دون طريق الغيب[2].

(١) راجع: البحر المحيط ٤/٢٠١.

(٢) راجع: تفسير البيضاوي ١/٦١، وتفسير أبي السعود ٤/٦٩.

و﴿لئن﴾ في الآيات الأربع جاء تفسيراً للقسم الصريح الذي أفاده كل من ﴿أقسموا بالله﴾ ـ و ﴿عاهد الله﴾ ـ واللام المؤذنة بأن الجواب المذكور وهو ﴿ليؤمنن بها﴾ و ﴿لنصدقنَّ﴾ و ﴿ليخرجنَّ﴾ و ﴿ليكوننَّ﴾ ـ للقسم الظاهر قبل، واللام في ﴿لئن﴾ لمجرد التأكيد.

وقد جعل غير واحد من المعربين اللام موطئة لجواب القسم آخر مقدّر، والجواب ـ أعني (ليكونن) مثلاً لذلك القسم المقدر[1].

بيد أنني أرجح ما قلته آنفاً من جعل اللام لمجرد التأكيد للقسم المذكور، ولا ينبغي تقدير قسم آخر محذوف؛ لأن اللام في تصوري للتوصل إلى الشرط من حيث أرادوا أيماناً مشترطة. ويدل على ذلك وجود تلك اللام في سائر الآيات التي جاءت في الموضوع نفسه، والألفاظ والنظم نفسها؛ لأن القسم ليس مشترطاً فيه حصول شيءٍ لكي يتحقق. وذلك في قوله تعالى: ﴿ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا ظاهرين﴾ الآية: ٥٣م المائدة. وقوله تعالى: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت﴾ آية: ٣٨ك النحل.

المسألة الثانية: الشرط الواقع بعد ما يحتمل أن يكون قسماً صريحاً: وبعده اللام الموطئة للجواب، كان ذلك في آيتين، وأداة الشرط في الآية الأولى ﴿إن﴾ وفي الآية الأخرى ﴿ما﴾، والآيتان هما قوله تعالى:

١ـ ﴿ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله إنِّي معكم لئن أقمتم الصلاة و آتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزَّرتموهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً لأكفرنَّ عنكم سيئاتِكم ولأدخلنَّكم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار﴾ الآية: ١٢م المائدة.

(١) راجع الفتوحات الإلهية للجمل ٢/ ٩٩٤.

قال أبوحيان ـ رحمه الله ـ: "اللام في ﴿لئن أقمتم﴾ هي المؤذنة بالقسم، والموطئة بما بعدها وبعد أداة الشرط أن يكون جواباً للقسم، ويحتمل أن يكون القسم محذوفاً، ويحتمل أن يكون ﴿لا كفرنَّ﴾ جواباً لقوله: ﴿ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل﴾، ويكون قوله: ﴿وبعثنا﴾ والجملة التي بعدها في موضع الحال، أو يكونان جملتي اعتراض"[1].

ويكون أسلوب الشرط في تفسير أبي حيان مما دخل عليه القسم الصريح، واللام المؤذنة لهذا القسم الظاهر. ففي الاحتمالين أسلوب الشرط مؤكَّد بقسمين: قسم وهو: ﴿لقد أخذ الله...﴾ وهو القسم الظاهر، وقسم آخر محذوف؛ لكون اللام في ﴿لئن أقمتم﴾ تؤذن له، هذا في الاحتمال الأول. وأما في الاحتمال الآخر فلأن قوله: ﴿ولقد أخذ الله﴾ قسمٌ آخر، واللام في ﴿لئن﴾ مؤكِّدة له، ومؤذنة لقسم آخر محذوف، وبعد ذلك كله جاء الشرط.

ولا يمكن ترجيح أحد الاحتمالين على الآخر، وذلك؛ لأن أخذ الميثاق من الألفاظ القرآنية الجارية مجرى القسم حيناً ـ تُتلقَّى بجواب القسم، كما في قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننَّه للناس ولا تكتمونه﴾ الآية: ١٨٧م آل عمران. وتجري مجرى الألفاظ التي ليست بقسم ـ حيناً آخر ـ فلا تجاب بجواب القسم، كما في قوله تعالى: ﴿وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين﴾ الآية: ٨م الحديد. وهذا ما فهمه أبو علي الفارسي ـ رحمه الله ـ كما ذكره جلال الدين السيوطي[2] ـ رحمه الله ـ والشرط في هذه الآية مؤكد ومعلق بالوعد العظيم.

٢ـ وقوله تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنُنَّ به ولتنصرنَّه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم

(١) البحر المحيط ٣/ ٤٤٤.

(٢) راجع معترك الأقران في إعجاز القرآن ١ / ٤٥٢.

إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين. فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ الآية: ٨١-٨٢م آل عمران.

واللام التي يجري الكلام عليه في (لما) الأولى التي بعدها فعل، وقد قرأ أصحاب السبعة ـ ما عدا حمزة ـ (لما) بفتح اللام وتخفيف (ما) [١]. وقد اختلفت كلمة النحويين قديماً في نوع (ما) في تلك القراءة اختلافاً شابه تضارب وتناقض في بعض جوانب من آرائهم. وأهم الآراء في هذا رأيان: أحدهما: أن تكون (ما) في (لما) أداة للشرط، وتكون اللام قبلها لام التوكيد المؤذنة للقسم[٢] على حدٍّ ما تقدم قريباً ـ و(ما) في محل نصب مفعول ثانٍ لـ(آتيتكم) مقدماً عليه وجوباً لاختصاص أداة الشرط بالصدارة، ومفعوله الآخر ضمير المخاطب (كم)، وفعل الشرط (آتيتكم) و(ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم) معطوف عليه، فلم تحتج الجملة المعطوفة على فعل الشرط إلى عائد، ولذلك اختاره سيبويه؛ لأنه لما لم ير فيها عائداً جعل (ما) للشرط [٣].

والرأي الآخر في (لما): أن تكون اللام لام الابتداء دخلت لتوكيد القسم الذي ضمن أخذ الميثاق، و(ما) بمعنى (الذي) مبتدأ وصلتها جملة (آتيتكم) والعائد عليها محذوف، والتقدير الذي آتيتكموه من كتاب، حذف لطول الاسم[٤].

وفي بيان خبر المبتدأ وجوه:

الوجه الأول: أن يكون الخبر (من كتاب وحكمة) و (من) زائدة. قاله أبو البقاء العكبري ـ رحمه الله ـ والتقدير: أي "الذي آتيتكموه من الكتاب والنكرة هنا كالمعرفة" [٥].

(١) راجع السبعة في القراءات/ ٢١٣.

(٢) مشكل إعراب القرآن ١/ ١٤٨.

(٣) الكتاب ١/ ٤٥٥-٤٥٦.

(٤) الإملاء ١/ ٩٣.

(٥) المرجع السابق ١/ ٩٣، وانظر: مشكل إعراب القرآن ١/ ١٤٧.

والمعروف في مثل هذا المقام إعراب (مِنْ) بيانية، جاءت لتبين إبهام الموصول، ويضعف هذا الإعراب ـ أيضاً أن بعض شروط زيادة (مِنْ) مفقود هنا، وأن إجازة كون (من كتاب وحكمة) خبراً فيه الإخبار عن الموصول المبتدأ قبل كمال صلته؛ لأن قوله: (ثم جاءكم رسول مصدق) الآية عطف على الصلة[1].

الوجه الثاني: أن يكون خبر المبتدأ مقدراً. فقدره بعض المعربين بقوله: "تؤمنون به وتنصرونه". وجعل الضميرين للرسول مع أن المبتدأ في الحقيقة الكتاب والحكمة. وهذا التقدير مبني على أن (لتؤمنن به) جواب القسم الذي هو أخذ الميثاق، لا على أن الجواب (ما آتيتكم) [2].

الوجه الثالث: أن خبر المبتدأ الجملة من القسم المقدر وجوابه الذي هو (لتؤمنن به). قال أبو حيان: "الضمير في (به) عائد على الموصول المبتدأ ولا يعود على الرسول لئلا تخلو الجملة التي وقعت خبراً عن المبتدأ من رابط يربطها به، والجملة الابتدائية التي هي (لما آتيتكم) إلى آخره هي الجملة المتلقَّى بها (ما) جرى مجرى القسم، وهو قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين﴾" [3].

وأرجح الرأيين كون (ما) في (لما آتيتكم) أداة الشرط، وهو رأي المحققين، وعلى رأسهم الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه[4] ـ رحمهما الله ـ وتؤيدهم أمور معنوية وصناعية: وذلك؛ لأن الشرط يوجب أن كل ما وقع من أمر الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ هذه طريقته[5]. ولعدم العائد في الآية من

(١) البيان في إعراب غريب القرآن ١/ ٢١٠.

(٢) البحر المحيط ٢/ ٥١١.

(٣) الفتوحات الإلهية ١/ ٢٩٣.

(٤) الكتاب ١/ ٤٥٥-٤٥٦.

(٥) مشكل إعراب القرآن ١/ ١٤٧. وإملاء ما من به الرحمن ٢/ ٩٣.